فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾.

﴿خيرات﴾ خيرات فخففت كقوله عليه السلام: «هينون لينون»[1] وأما خير الذي هو بمعنى أخير فلا يقال فيه: خيرون ولا خيرات. وقرئ: خيرات على الأصل والمعنى: فاضلات الأخلاق حسان الخلق.

حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾.

﴿مقصورات﴾ قصرن في خدورهنّ يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة. وقيل: إنّ الخيمة من خيامهنّ درّة مجوّفة.

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾.

﴿قبلهم﴾ قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين.

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾.

﴿متكئين﴾ نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط. وقيل: البسط. وقيل: الوسائد. وقيل: كل ثوب عريض رفرف. ويقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط: رفارف، ورفرف السحاب: هيد به. والعبقري: منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب. وقرئ: رفارف خضر بضمتين، وعباقري كمدائني نسبة إلى عباقر في اسم البلد. وروى أبو حاتم: عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الأوجه لصحته.

فإن قُلْتَ: كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل: ومن دونهما؟ **قُلْتُ:** مدهامّتان دون نواتا أفنان، ونضاختان دون تجريان، وفاكهة دون كل فاكهة، وكذلك صفة الحور والمتكأ. وقرئ: ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الرحمٰن أدّى شكر ما أنعم الله عليه»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الواقعة مكية

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾.

﴿وقعت الواقعة﴾ كقولك: كانت الكائنة، وحدثت الحادثة، والمراد: القيامة. وصفت بالوقوع أنها تقع لا محالة. فكأنه قيل: إذا وقعت التي لا بدّ من وقوعها. ووقوع الأمر نزوله. يقال: وقع ما كنت أتوقعه. أي: نزل ما كنت أترقب نزوله.

فإن قُلْتَ: بم انتصب إذا؟ **قُلْتُ:** بليس. كقولك: يوم الجمعة ليس لي شغل، أو بمحذوف يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت. أو بإضمار انكر.

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾.

﴿كاذبة﴾[3] نفس كاذبة، أي: لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأنّ كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدّقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات. كقوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾[4] ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾[5] ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة. واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾[6] أو ليس لها نفس تكذبها وتقول لها: لم تكوني. كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها: لن تكوني. أو هي من قولهم: كذبت فلانًا نفسه في الخطب العظيم، إذا شجعته على مباشرته. وقالت له: إنك تطيقه وما فوقه فتعرّض له ولا تبال به. على معنى أنها وقعة لا تطاق شدّة وفظاعةً، وأن لا نفس حينئذ تحدّث صاحبها بما تحدّثه به عند عظائم الأمور وتزين له احتمالها وإطاقتها؛ لانهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كالفراش المبثوث﴾[7] والفراش مثل في الضعف وقيل: ﴿كاذبة﴾ مصدر كالعاقبة. بمعنى: التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب. أي: فما جبن وما تثبط. وحقيقته: فما كذب نفسه فيما حدثته به من إطاقته له وإقدامه عليه. قال زهير:

إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

أي: إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد.

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾.

﴿خافضة رافعة﴾ على هي خافضة رافعة ترفع أقوامًا وتضع آخرين. إما وصفًا لها بالشدّة؛ لأنّ الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس، وإما لأنّ الأشقياء يحطون إلى الدركات والسعداء يرفعون إلى الدرجات، وإما لأنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضًا وترفع بعضًا، حيث تسقط السماء كسفًا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمرّ في الجوّ مرّ السحاب. وقرئ: خافضة رافعة بالنصب على الحال.

إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾.

﴿رجت﴾ حركت تحريكًا شديدًا حتى ينهدم كل شيء

---

(1) تقدم في الفرقان.

(2) أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في تفسيره وأخرجه الزيلعي 3/399.

(3) قوله تعالى: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ قال فيه: كاذبة صفة تقدير موصوفها نفس كاذبة.

(4) سورة غافر، الآية: 84.

(5) سورة الشعراء، الآية: 201.

(6) سورة الفجر، الآية: 24.

(7) سورة القارعة، الآية: 4.

فوقها من جبل وبناء.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾.

﴿وبست الجبال﴾ وفتت حتى تعود كالسويق، أو سيقت، من بس الغنم إذا ساقها. كقوله: ﴿وسيرت الجبال﴾[1] ﴿منبثا﴾ متفرقًا. وقرئ: بالتاء أي: منقطعًا. وقرئ: رجت وبست. أي: ارتجت وذهبت. وفي كلام بنت الخس: عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج.

فإن قُلْتَ: بم انتصب إذا رجت؟ قُلْتُ: هو بدل من ﴿إذا وقعت﴾، ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي: تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال؛ لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾.

﴿أزواجًا﴾ أصنافًا، يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أو يذكر بعضًا بعض: أزواج.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾.

﴿فأصحاب الميمنة﴾ الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم.

﴿وأصحاب المشأمة﴾ الذين يؤتونها بشمائلهم، أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية. من قولك: فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال، إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة. وذلك لتمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل، ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح. ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمائل الشومي. وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة. أصحاب اليمن والشؤم؛ لأنّ السعداء ميامن على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم. وقيل: يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿والسابقون﴾ المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله عز وجل. وقيل الناس ثلاثة: فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرّب، ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال. ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال[2] الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى: أي شيء هم. ﴿والسابقون السابقون﴾ يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله: وعبد الله عبد الله. وقول أبي النجم: وشعري شعري. كأنه قال: وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته، وقد جعل السابقون تأكيدًا وأولئك المقرّبون خبرًا، وليس بذاك. ووقف بعضهم علي ﴿والسابقون﴾ وابتدأ: السابقون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿أولئك المقرّبون﴾ والصواب أن يوقف على الثاني؛ لأنه تمام الجملة وهو في مقابلة أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة.

﴿المقرّبون في جنات النعيم﴾ الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم. وقرئ: في جنة النعيم.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

والثلة: الأمّة من الناس الكثيرة قال:

وجاءت إليهم ثلة خندفية ... بجيش كتيار من السيل مزبد

وقوله عز وجل: ﴿وقليل من الآخرين﴾ كفى به دليلاً على الكثرة، وهي من الثل وهو: الكسر، كما أنّ الأمّة من الأمّ، وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم. والمعنى: أنّ السابقين من الأوّلين كثير، وهم: الأمم من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ.

﴿وقليل من الآخرين﴾ وهم أمّة محمد ﷺ. وقيل: ﴿من الأوّلين﴾ من متقدّمي هذه الأمّة، و﴿من الآخرين﴾ من متأخريها. وعن النبي ﷺ: «الثلتان جميعاً من أمّتي»[3].

فإن قُلْتَ: كيف قال: ﴿وقليل من الآخرين﴾ ثم قال: ﴿وثلة من الآخرين﴾[4] قُلْتُ: هذا في السابقين، وذلك في أصحاب اليمين، وأنهم يتكاثرون من الأوّلين والآخرين جميعاً.

فإن قُلْتَ: فقد روي أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله ﷺ يراجع ربه حتى نزلت ﴿ثلة من الأوّلين﴾ ﴿وثلة من الآخرين﴾؛ قُلْتُ: هذا لا يصح لأمرين أحدهما: أنّ هذه الآية واردة في السابقين ورودًا

(1) سورة النبأ، الآية: 20.

(2) قال أحمد: اختار ما هو المختار؛ لأنه أقعد بالفصاحة، لكن بقي التنبيه على المخالفة بين المذكورين في السابقين وفي أصحاب اليمين، مع أنّ كل واحد منهما إنما أريد به التعظيم والتهويل لحال المذكورين، فنقول: التعظيم المؤدي بقوله: السابقون أبلغ من قرينه، وذلك أنّ مؤدي هذا أنّ أمر السابقين وعظمة شأنه ما لا يكاد يخفى، وإنما تحير فهم السامع فيه مشهور، وأمّا المذكور في قوله: ﴿وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة﴾ فإنه تعظيم على=

= السامع بما ليس عنده منه علم سابق، ألا ترى كيف سبق بسط حال السابقين بقوله: ﴿أولئك المقرّبون﴾ فجمع بين اسم الإشارة المشار به إلى معروف وبين الإخبار عنه بقوله: ﴿المقرّبون﴾ معرفاً بالألف واللام العهدية، وليس مثل هذا مذكوراً في بسط حال أصحاب اليمين، فإنه مصدر بقوله: ﴿في سدر مخضود﴾.

(3) رواه الطبراني في معجمه.

(4) سورة الواقعة، الآية: 40.

ظاهرًا، وكذلك الثانية في أصحاب اليمين. ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم، والثاني: أنّ النسخ في الإخبار غير جائز. وعن الحسن رضي الله عنه: سابقو الأمم أكثر من سابقي أمّتنا، وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمّة، وثلة خبر مبتدأ محذوف أي: هم ثلة.

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾.

﴿موضونة﴾ مرمولة بالذهب مشبكة بالدرّ والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع. قال الأعشى:

ومن نسج داود موضونة

وقيل: متواصلة أدنى بعضها من بعض.

مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾.

﴿متكئين﴾ حال من الضمير في على وهو العامل فيها. أي: استقرّوا عليها متكئين ﴿متقابلين﴾ لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض، وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾.

﴿مخلدون﴾ مبقون أبدًا على شكل الولدان وحدّ الوصافة لا يتحوّلون عنه، وقيل: مقرطون والخلدة: القرط، وقيل: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا عليها. روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث: «أولاد الكفار خدّام أهل الجنة»[1].

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾.

الأكواب: أوان بلا عرى وخراطيم، والأباريق ذوات الخراطيم.

لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾.

﴿لا يصدّعون عنها﴾ أي: بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها. أو لا يفرّقون عنها، وقرأ مجاهد: لا يصدّعون بمعنى: لا يتصدعون لا يتفرّقون كقوله: يومئذ يصدّعون ويصدعون أي: لا يصدع بعضهم بعضاً لا يفرّقونهم.

وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾.

﴿يتخيرون﴾ ياخذون خيره وأفضله.

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾.

﴿يشتهون﴾ يتمنون. وقرئ*: ولحوم طير.

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾.

قرئ*: ﴿وحور عين﴾ بالرفع على وفيها حور عين، كبيت الكتاب إلا رواكد جمرهنّ هباء ومشجج، أو للعطف على ولدان وبالجر عطفًا على جنات النعيم. كأنه قال: هم في جنات النعيم، وفاكهة ولحم وحورًا وعلى أكواب؛ لأنّ معنى ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب﴾: ينعمون بأكواب، وبالنصب على ويؤتون حورًا.

جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾.

﴿جزاءً﴾ مفعول له. أي: يفعل بهم ذلك كله جزاءً باعمالهم.

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾.

﴿سلامًا سلامًا﴾ إما بدل من ﴿قيلاً﴾ بدليل قوله: ﴿لا يسمعون فيها لغوًا﴾ إلا سلامًا. وإما مفعول به لقيلا بمعنى: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا: سلامًا سلامًا. والمعنى: أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلامًا بعد سلام. وقرئ*: سلام سلام على الحكاية.

فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾.

السدر: شجر النبق. والمخضود: الذي لا شوك له كانما خضد شوكه. وعن مجاهد: الموقر: الذي تثني أغصانه كثرة حمله، من خضد الغصن: إذا ثناه وهو رطب.

وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾.

والطلح: شجر الموز. وقيل: هو شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة. وعن السدي: شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل. وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ: وطلع، وما شأن الطلح؟ وقرأ قوله لها: طلع نضيد. فقيل له: أوَنُحَوِّلها. فقال: أي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول. وعن ابن عباس نحوه. والمنضود: الذي نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة.

وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾.

﴿وظلّ ممدود﴾ ممتد منبسط لا يتقلص كظلّ ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾.

﴿مسكوب﴾ يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنون فيه وقيل: دائم الجرية لا ينقطع. وقيل: مصبوب يجري على الأرض في غير أخدود.

وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾.

﴿لا مقطوعة﴾ هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا ﴿ولا ممنوعة﴾ لا تمنع عن متناولها بوجه

(1) كشف الأستار كتاب: القدر، باب: في أطفال المشركين (الحديث رقم: 2172).

ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا. وقرئ: ﴿وفاكهة كثيرة﴾ بالرفع على وهناك فاكهة. كقوله: وحور عين.

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾.

﴿وفرش﴾ جمع فراش. وقرئ: ﴿وفرش﴾ بالتخفيف ﴿مرفوعة﴾ نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة. وقيل: هي النساء؛ لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك. قال الله تعالى: ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون﴾[1] ويدل عليه قوله تعالى:

﴿إنا أنشأناهنّ إنشاء﴾ وعلى التفسير الأوّل: أضمر لهنّ؛ لأنّ ذكر الفرش وهي المضاجع دلّ عليهن أنشأناهنّ إنشاء أي: ابتدأنا خلقهنّ ابتداء جديدًا من غير ولادة، فإما أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاؤهنّ أو اللاتي أعيد انشاؤهنّ. وعن رسول الله ﷺ أنّ أمّ سلمة رضي الله عنها سألته عن قول الله تعالى: ﴿إنا أنشأناهنّ﴾ فقال: «يا أم سلمة هنّ اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطًا رمصًا جعلهنّ الله بعد الكبر ﴿أترابًا﴾ على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهنّ أزواجهنّ.

وجدوهنّ أبكارًا»، فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك من رسول الله ﷺ قالت: واوجعاه. فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك وجع»[2]. وقالت عجوز لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: «إنّ الجنة لا تدخلها العجائز»، فولت وهي تبكي فقال عليه الصلاة والسلام: أخبروها أنها ليست يومئذٍ بعجوز»[3]. وقرأ الآية.

﴿عربًا﴾ وقرئ: عربًا بالتخفيف جمع عروب وهي: المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل. ﴿أترابًا﴾ مستويات في لسن بنات ثلاث وثلاثين، وأزواجهنّ أيضًا كذلك. وعن رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا أبيضًا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين»[4].

لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾.

واللام في ﴿لأصحاب اليمين﴾ من صلة انشأنا وجعنا.

فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾.

﴿في سموم﴾ في حر نار ينفذ في المسام ﴿وحميم﴾ وماء حار متناه في الحرارة.

وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾.

﴿وظل من يحموم﴾ من دخان أسود بهيم.

لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾.

﴿لا بارد ولا كريم﴾ نفي لصفتي الظل عنه، يريد: أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال. سماه ظلاً ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه، والمعنى: أنه ظل حار ضار، إلا أنّ للنفي في نحو هذا شأنًا ليس للاثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة. وقرئ: لا بارد ولا كريم بالرفع، أي: لا هو كذلك.

وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾.

﴿الحنث﴾ الذنب العظيم. ومنه: قولهم: بلغ الحنث، أي: الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم، ومنه حنث في يمينه خلاف برّ فيها. ويقال: تحنث إذا تأثم وتحرج.

أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾.

﴿أو آباؤنا﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف.

فإن قُلْتَ: كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن؟ قُلْتُ: حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى: ﴿ما أشركنا ولا آباؤنا﴾[5] لفصل لا المؤكدة للنفي. وقرئ: أوآباؤنا.

لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾.

وقرئ: ﴿لمجمعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم. والإضافة بمعنى من كخاتم فضة، والميقات: ما وقت به الشيء أي: حد ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرمًا.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾.

﴿أيها الضالون﴾ عن الهدى ﴿المكذبون﴾ بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم.

لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾.

﴿من شجر من زقوم﴾ من الأولى: لابتداء الغاية والثانية: لبيان الشجر وتفسيره. وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله: منها وعليه. ومن قرأ: من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة، وإنما

---

(1) سورة يس، الآية: 56.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الواقعة (الحديث رقم: 3296).

(3) أخرجه الترمذي في الشمائل ص 117، باب: مزاحه ﷺ (الحديث = رقم: 241).

(4) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في سنن أهل الجنة (الحديث رقم: 2545)، وأخرجه أحمد في المسند 2/343).

(5) سورة الأنعام، الآية: 148.

ذكر الثاني على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها وهي في معناه.

فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾.

﴿شرب الهيم﴾ قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران. وعن جعفر الصادق رضي الله عنه: أيام أكل وشرب، بفتح الشين. وأما المكسورة فبمعنى المشروب. أي: ما يشربه الهيم، وهي الإبل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء. قال ذو الرمّة:

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها

وقيل: الهيم الرمال، ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو: الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب، ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض. والمعنى: أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرّهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا **﴿ملؤوا منه البطون﴾** يسلط عليهم من العطش ما يضطرّهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم.

فإن قُلْتَ: كيف صحّ عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفًا للشيء على نفسه؟ **قُلْتُ:** ليستا بمتفقتين من حيث إنّ كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضًا فكانتا صفتين مختلفتين.

هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾.

النزل: الرزق الذي يعد للنازل تكرمةً له وفيه تهكم كما في قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾[1] وكقول أبي الشعر الضبي:

وكنا إذا الجبار بالحيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرئ: **﴿نزلهم﴾** بالتخفيف.

نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾.

﴿فلولا تصدّقون﴾ تحضيض على التصديق إمّا بالخلق؛ لأنهم وإن كانوا مصدّقين به إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به. وإمّا بالبعث؛ لأنّ من خلق أولاً لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيًا.

أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾.

﴿ما تمنون﴾ ما تمنونه. أي: تقذفونه في الأرحام من النطف. وقرأ أبو السمال بفتح التاء. يقال: أمنى النطفة ومناها. قال الله تعالى: ﴿من نطفة إذا تمنى﴾[2].

ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾.

﴿تخلقونه﴾ تقدّرونه وتصوّرونه.

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾.

﴿قدّرنا بينكم الموت﴾ تقديرًا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا، فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط. وقرئ: **﴿قدرنا﴾** بالتخفيف. سبقته على الشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه. فمعنى قوله:

﴿وما نحن بمسبوقين * على أن نبدّل أمثالكم﴾ إنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أي: على أن نبدّل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن **﴿وننشئكم﴾** في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها. يعني: أنّا نقدر على الأمرين جميعًا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم، فكيف نعجز عن إعادتكم. ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي: على أن نبدّل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾.

قرئ: النشاة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جعلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى.

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾.

﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ ه من الطعام أي: تبذرون حبه وتعملون في أرضه.

ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾.

﴿أأنتم تزرعونه﴾ تنبتونه وتردونه نباتًا يرف وينمي إلى أن يبلغ الغاية. وعن رسول الله ﷺ: «لا يقولنّ أحدكم زرعت وليقل حرثت».

لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾.

قال أبو هريرة: أرأيتم إلى قوله: أفرأيتم الآية والحطام، من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيمًا وتحطم **﴿فظللتم﴾** وقرئ بالكسر وفظللتم على الأصل **﴿تفكهون﴾** تعجبون. وعن الحسن رضي الله عنه: تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها. وقرئ: تفكنون، ومنه الحديث: «مثل العالم كمثله الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوله: وبقي قوم يتفكنون أي: يتندمون».

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾.

﴿إنا لمغرمون﴾ لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون

(1) سورة آل عمران، الآية: 21.

(2) سورة النجم، الآية: 46.

لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك.

﴿بل نحن﴾ قوم ﴿محرومون﴾ محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا. وقرئ: أئنا.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾.

﴿الماء الذي تشربون﴾ يريد: الماء العذب الصالح للشرب و﴿المزن﴾ السحاب، الواحدة: مزنة. وقيل: هو السحاب الأبيض خاصة، وهو أعذب ماء.

لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾.

﴿أجاجًا﴾ ملحًا زعاقًا لا يقدر على شربه.

فإن قُلْتَ: لم أدخلت اللام على جواب ﴿لو﴾ في قوله: لجعلناه حطامًا ونزعت منه ههنا! **قُلْتُ:** إن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقًا من حيث إفادتها في مضموني جمليها أنّ الثاني امتنع لامتناع الأوّل افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علمًا على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علمًا على ذلك فإذا حذفت بعدما صارت علمًا مشهورًا مكانه فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفًا ومأنوسًا به لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناءً بمعرفة السامع. ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول: خير لمن قال له: كيف أصبحت؟ فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوى حالي حذفه وإثباته لشهرة أمره، وناهيك بقول أوس:

حتى إذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا

وحذفه لم أر فإذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على أن تقدّم ذكرها والمسافة قصيرة مغنٍ عن ذكرها ثانية ونائب عنه. ويجوز أن يقال إنّ هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب، للدلالة على أن أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيد يفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعًا للمطعوم. ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعد أن تطعمه، ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء:

إذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا أضيافهم شيما زلالا

وسقى بعض العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثميلة، ولهذا قدّمت آية المطعوم على آية المشروب.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾.

﴿تورون﴾ تقدحونها وتستخرجونها من الزناد، والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى: الزند والأسفل: الزندة، شبهوهما بالفحل والطروقة.

ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾.

﴿شجرتها﴾ التي منها الزناد.

نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾.

﴿تذكرة﴾ تذكيرًا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها وينكرون ما أوعدوا به، أو جعلناها تذكرة وأنمونجًا من جهنم لما روي عن رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنم»[1]. ﴿ومتاعًا﴾ ومنفعة ﴿للمقوين﴾ للذين ينزلون القواء وهي القفر، أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام، يقال: أقويت من أيام. أي: لم آكل شيئًا.

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾.

﴿فسبح باسم ربك﴾ فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك، أراد بالاسم: الذكر. أي: بذكر ربك و ﴿العظيم﴾ صفة المضاف أو للمضاف إليه. والمعنى: أنه لما ذكر ما دل على قدرته وإنعامه على عباده قال: فأحدث التسبيح، وهو أن يقول: سبحان الله إمّا تنزيهًا له عما يقول الظالمون الذين يجحدون ووحدانيته ويكفرون نعمته، وإمّا تعجيبًا من أمرهم في غمط آلائه وأياديه الظاهرة، وإمّا شكرًا لله على النعم التي عدّها ونبه عليها.

❁ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿فلا أقسم﴾ معناه فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله: لئلا يعلم أهل الكتاب. وقرأ الحسن: فلأقسم، ومعناه: فلأنا أقسم. اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي: أنا أقسم. كقولك: لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ، ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين: أحدهما: أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة والإخلال بها ضعيف قبيح، والثاني: أن لأفعلنّ في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال. ﴿بمواقع النجوم﴾ بمساقطها ومغاربها. ولعل الله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالاً مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لأنه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم. فلذلك

(1) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة (الحديث رقم: 3265) وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها (الحديث رقم: 30 ـ 2843).

أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله:

﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ أو أراد بمواقعها: منازلها ومسايرها وله تعالى في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف. وقوله: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ اعتراض؛ في اعتراض لأنه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه[1]. وهو قوله:

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾.

﴿إنه لقرآن كريم﴾ واعترض لو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل: مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن. أي: أوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله.

فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾.

﴿في كتاب مكنون﴾ مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم.

لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾.

وهم المطهرون من جميع الأدناس أدناس الذنوب وما سواها. إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى: لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس، يعني: مس المكتوب منه، ومن الناس من حمله على القراءة أيضًا. وعن ابن عمر أحب إلى أن لا يقرأ إلا وهو طاهر. وعن ابن عباس في رواية: أنه كان يبيح القراءة للجنب. ونحوه قول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»[2]. أي: لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه. وقرئ: المتطهرون والمطهرون بالإدغام، ﴿والمطهرون﴾ من أطهره بمعنى: طهره. والمطهرون بمعنى: يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه.

تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾.

﴿تنزيل﴾ صفة رابعة للقرآن. أي: منزل من رب العالمين، أو وصف بالمصدر؛ لأنه نزل نجومًا من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه. فقيل: جاء في التنزيل كذا، ونطق به التنزيل، أو هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ: تنزيلاً على نزل تنزيلاً.

أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾.

﴿أفبهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾ أي: متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي: يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونًا به.

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾.

﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ على حذف المضاف يعني: وتجعلون شكر رزقكم التكذيب أي: وضعتم التكذيب موضع الشكر، وقرأ علي رضي الله عنه: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون. وقيل: هي قراءة رسول الله ﷺ، والمعنى: وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به. وقيل: نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها والرزق المطر يعني: وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم. وقرئ: تكذبون وهو قولهم: في القرآن شعر وسحر وافتراء، وفي المطر هو من الأنواء ولأنّ كل مكذب بالحق كاذب.

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾.

ترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين، و﴿فلولا﴾ الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ﴿ترجعونها﴾ للنفس وهي الروح وفي ﴿أقرب﴾ إليه للمحتضر.

﴿غير مدينين﴾ غير مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم. ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت. والمعنى: إنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء إن أنزل عليكم كتابًا معجزًا قلتم سحر وافتراء، وإن أرسل إليكم رسولاً قلتم ساحر كذاب، وإن رزقكم مطرًا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي إلى الإهمال والتعطيل.

فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثَم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمُحيي المميت المبدئ المعيد.

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾.

﴿فاما إن كان﴾ المتوفى ﴿من المقربين﴾ من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة في أوّل السورة.

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾.

﴿فروح﴾ فله استراحة. وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ فروح بالضم[3]. وقرأ به الحسن وقال: ﴿الروح﴾ الرحمة؛ لأنها كالحياة للمرحوم[4]. وقيل: البقاء. أي: فهذان له معًا وهو الخلود مع الرزق

---

(1) قال أحمد: وعلى هذا التفسير يكون جواب القسم مناسباً للمقسم، مثل قوله: ﴿حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ ومن واديه وثناياك أنها إغريض كما تقدّم.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (الحديث رقم: 58 ـ 2580).

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: القراءات، باب: ومن سورة الواقعة (الحديث رقم: 2938).

(4) أخرجه عبد بن حميد (راجع الدر المنثور 6/166) وأخرجه الزيلعي 3/411.

والنعيم، والريحان: الرزق.

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾.

﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أي: فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أي: يسلمون عليك. كقوله تعالى: **﴿إلا قيلا سلامًا سلامًا﴾**.

فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾.

﴿فنزل من حميم﴾ كقوله تعالى: **﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾** وقرئ*: بالتخفيف **﴿وتصلية جحيم﴾** قرئت بالرفع والجر عطفًا على **﴿نزل﴾** و**﴿حميم﴾**.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾.

﴿إن هذا﴾ الذي أنزل في هذه السورة **﴿لهو حق اليقين﴾** أي: الحق الثابت من اليقين. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحديد مكية

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾.

جاء في بعض الفواتح سبّح على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع. وكل واحد منهما معناه: أنّ من شأن من أسند إليه التسبيح أن يسبّحه وذلك هجيراه وديدنه. وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تعالى: **﴿وتسبحون﴾**[2] وأصله التعدي بنفسه؛ لأنّ معنى سبحته بعدته عن السوء، منقول من سبح: إذا ذهب وبعد. فاللام لا تخلو إما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له، وإما أن يراد بـ **﴿سبح لله﴾** أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصًا.

﴿ما في السموات والأرض﴾ ما يتأتى منه التسبيح ويصح.

لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾.

فإن قُلْتَ: ما محل **﴿يحيي﴾**؟ **قُلْتُ:** يجوز أن لا يكون له محل ويكون جملة برأسها.

كقوله: **﴿له ملك السموات﴾** وأن يكون مرفوعًا على هو يحيي ويميت ومنصوبًا حالاً من المجرور في له والجار عاملاً فيها. ومعناه: يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الأحياء.

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾.

﴿هو الأول﴾ هو القديم الذي كان قبل كل شيء **﴿والآخر﴾** الذي يبقى بعد هلاك كل شيء **﴿والظاهر﴾** بالأدلة الدالة عليه **﴿والباطن﴾** لكونه غير مدرك بالحواس.

فإن قُلْتَ: فما معنى الواو؟ **قُلْتُ:** الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء، وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين. فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهر وباطن، جامع للظهور بالأدلة والخفاء فلا يدرك بالحواس. وفي هذا حجة على من جوّز إدراكه في الآخرة بالحاسة. وقيل: **﴿الظاهر﴾** العالي على كل شيء الغالب له، من ظهر عليه إذا علاه وغلبه، و**﴿الباطن﴾** الذي بطن كل شيء أي: علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم.

ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾.

﴿مستخلفين فيه﴾ يعني: أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما مولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب. فانفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه، أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينقل منكم إلى من بعدكم، فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها أنفسكم.

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾.

﴿لا تؤمنون﴾ حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول مالك قائمًا بمعنى ما تصنع قائمًا؟ أي: وما لكم كافرين بالله. والواو في **﴿والرسول يدعوكم﴾** واو الحال فهما حالان متداخلتان. وقرئ*: **﴿وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم﴾** والمعنى: وأي عذر لكم في

---

(1) أخرجه البيهقي في الشعب، باب: في تعظيم القرآن فضل في فضائل السور والآيات (الحديث رقم: 2498).

(2) سورة الفتح، الآية: 9.